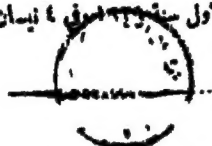


المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية »

محاضران القامحا الامثاذ الدكتور امعد بكك الحكيم احد اعفاء المجمع
العلمي العربي في زدة المجمع بدمشق
في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٣٠م وفي ٤ نيسان سنة ١٩٣٠م



نشرت في ١٩٣٠ في مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

دمشق : ١٩٣٠ - ١٩٣١

المسكرات ومضارها

للأم كما للأفراد قوام مادي وقوام روحي . فقوام الأم المادي افرادها ، وقوامها الروحي مبادئها العامة التي تؤلف ما بين أولئك الافراد فتجعل منهم جسداً . احداً يتحرك بحرك واحد . اما سببة المادة الى الروح في تأليف الامة فهي كسبة الاجزاء الى البناء . فكما ان الاجزاء المنفرقة لا تؤلف بدياناً . بها كثر عددها وتماثل سكانها الا اذا تراءت وتلاصقت وتند بعضها بعضاً على شكل هدمي معروف . كذلك الافراد مهم لا يؤلفون أمة مهما كثر عددهم وتشابهت بينهم ونوحدت اصولهم وثقفت أذهانهم اذا لم يجمعهم جامعة طامة واحدة يتأثرون بمؤثر واحد . يعبسون لاحله . يموتون في سبيله .

وقد بصفت قوام الأم المادي وبقى قوامها الروحي صحيحاً فتنحفظ بكيانها الاجتماعي كما يحفظ ظل الجسم بحقوقه المادية اذا لم تنطرق العلة الى ملكاته الذاتية . اما اذا فقدت الامة مبادئها العامة فنقتدرة حياتها الاجتماعية وتصبح لا كيان لها في العالم الادبي . فيستولي عليها الصحيح من الام . كما يجبر على مؤوف العقل على الرغم من سلامة سائر اعضائه ، وقوتها ، وجناتها . سعة الله في هذا الكون ولن تبدل لسة الله تمديلاً .

وقد أتى على الامة العربية الى يومنا هذا عوامل مختلفة ، دينية وسياسية . ادارية واجتماعية أفقدتها مبادئها العامة ، فأضاعت معها كل ما كان لها من عز . سلطان . كيان سياسي اجتماعي ، وناث على ما هي عليه اليوم ، مما يندى بالأسف له كره . بهلج العرب له كراه . فهي تعيش اليوم حياة فردية طائمية ، أتبته

بها بالحجار هيكل عظيم ، قوته زلزال شديد ، فتناثرت على الارض المحفوظة بصلابتها وروتها . فليت شعري ما يكون امرها عدأ . امرها أيها السادة احد تبشئين : اما ان يطرُق الفساد الى جوهرها بتأثير العوامل الطبيعية المختلفة ، فننقد ثمة خصائصها ، فننتجت تم تفصيل . واما ان تحفظ بشكلها وخواصها الى ان تصادف بدأ عاملة فتعيد سيرتها الاولى . وبكلمة عامة : الحياة السياسية ممكنة مادام الجوهر الفرد صحيحاً . وقد كان الاعتقاد ايماناً بان لا بد لهذه الامة من نشر بعد هذا الطي المستمر ، وذلك بالنظر لسلامة قواها المادي أعني افرادها الذين لم يزالوا محافظين بعامل الوراثة على كثير من حناصهم القومية ، فهم بمثابة تلك الاحجار الصلبة المهذبة المنشرة من ذلك البيان المتهم ، غير ان هذا الايمان القوي قد اخذ تحول الى رحاء سي هذه الآونة الاخيرة ، لما ظهر في البلاد العربية من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي تهدد العرد بحياته المادية والفسية ، وترمي الى افساد مبادئه وخصائصه العنصرية وهي الدامة الوحيدة لوحده المشوذة ، فيصبح كالعراب عرياً ، يكره التالد ولا يلحق به الطارف . أمراض اجتماعية تسرت الى هذه البلاد الصعيمة تحت ستار الحضارة والمدنية البراق . وشر الادواء ما كان حقيقاً ، وشر السموم ما كان تسجياً ، فتهاوت عليها الناس تهاوت البعوض على النور يحسون السعادة في نورها ، فتلتهم حياتهم . بمرانها ، واتخذ هذه الادواء فتكاً في النفوس واعظمها خطراً على الحرث والسر . (القولية) اي داء المسكرات .

القول القولية وهي سعة الى العول ، والعول في اللغة السكر . وفي مصطلح العلم المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والشانية المائنة المتحورة كحمر العنب وبهذا التمييز والأرز . الذماح . غير ١٠١٥ . كان إذن قبل الاسلام

ان الجوز مسكرة بذاتها فلما جاء الاسلام وصف حمر الحقة . قال في تعريفها :
(لا فيها غول ولا م عنها يرمون اى ما فيها مادة مسكرة بشأ عنها الصداع
والسكر يقال لها عول . فأعاد بان الحمر ليست مسكرة ومصدقة بذاتها بل هي
مسكرة بمادة خاصة موجودة فيها تدعى العول ، تحرم لاحلها لانها هي التي
مسد العقل ونكر

وبالطرح لحل الناس علم الكيمياء في ذلك العصر لم ينتهوا الى معنى كلمة
العمل العلمي ففسرها بما يعتاها العموي ، هو السكر مما أوقعهم في الاختلاف
في تحريم التنبذ وعدمه . ولم يتوصل العلم الى معرفة القول وتجرده عن المواد
المتخمرة الا بعد ان اكتشف العرب التصعيد والتقطير في القرن الثاني للهجرة
هـ بعدد الحمر وقطرها واستخرجوا منها العول ويسمونه روح الخمر والعرق
والزئبق الحار . قال داود : العرق هو المأخوذ عن الخمر بالتصعيد والتقطير
. . . هذا يبين لنا ان القرآن ذكر القول بمعناه العلمي
قبل ان يتوصل العلم الى اكتشافه ، بيان خصائصه . وقد اخذ الفرض عن
العرب ونقلوه الى لغتهم بألفاظ العربي ، وبالنظر لعدم وجود الغين في لغتهم
استبدلوا بالآش فقالوا بدلاً من أله وُل أنكوهول . ثم لما جاء الأتراك
وارادوا نقل العلم من اللسان البرصية الى لغتهم لم ينتهوا الى ان أصل كلمة
أنكوهول من ألهول مقامها . في مقامها الأتراك فصارت أنكوهول . وقد شاعت
لفظة الكحول على الالسة في لسان الناس صحيحة ، من ان لا يحد لها اصل
في اللغة يشير الى مدلولها . نالت كلمة العمل الفصحى عربة لعدم تداولها وهي
أحدر باللهة والاستعمال .

والقول والحالة هذه هو المادة المذكورة الموحدة والخمور ، والمعروفة باسم

الكحول او السبيرتو العامة ، والعولية هي الداء الذي يحصل من إدمان . سرب
المسكرات اي المشروبات التي فيها غول ، وهي كثيرة في هذا العصر . ينقسم
الى قسمين : القسم الاول المشروبات الروحية . والقسم الثاني المحور . الاسنة .

المشروبات الروحية - فالمشروبات الروحية هي الموائع التي تحتوي
على اربعين الى ستين في المئة من الغول ، والباقي ماء ، وعلى روائح عطرية
مختلفة . وأهم أنواعها العرق . ويستخرج من الخمر مع الآيسون ، وهو مركب
من غول وماء ، عطر الآيسون . ومنها القونياك ، وهو عرق الخمر الأبيض
يحفظ مدة طويلة في براميل من خشب الصنوبر ، يكسب منها رائحته
ولونه . وقد سمي بالقونياك نسبة الى بلدة قونيا في فرنسا التي يصنع فيها . ومنها
الروم (Rhum) وهو عرق نبيذ الكرز البري . ومن المشروبات الروحية
الانواع المدعوة (Liqueurs) اي المشروبات الحلوة ، وهي الاثرية العولية
المزوجة بالماء والسكر وبعض الارواح العطرية ، واتهرها الاسنت اي
مشروب الاسنتين والبهر والفرموت والشارتوز وغيرها .

الخمر - اما الخمر فاهمها الخمر ، وهو عصير العنب المخمر ، وهو
يحتوي على ثمانية أجزاء الى عشرين جزءاً في المئة من الغول وعلى خمسة عشر
جزءاً ماء وعلى مواد زلالية وعصية وملونة ، وعلى حوامض وعلى أملاح ، وله
ترابية وعلى ارواح عطرية . ومنها الانبذة . هي الخمر التي تحصل من عصير عنب
العنب ، وانواعها كثيرة ، واسماؤها تختلف بحسب المواد التي تضاف منها ،
وأشهرها : المزر او البيرا (الجعة) وهو نبيذ الشعير المعطر بمشقة الديار ، وهي
تتركب من ثمانين جزءاً من الماء ومن ثلاثة الى ثمانية أجزاء من الغول ، وفيها

مواد سكرية وزلالية ودهنية واملاح قلوية ترابية وحوامض ، ومنها المصع .
قال داود وهو نبيذ الفواكه . ومن انواعه : السيدر ، وهو نبيذ التفاح ، والواره
، هو نبيذ الاحاص ، ومنها الرائب وهو نبيذ اللبن وهو شائع الاستعمال في روسيا
وبسمى الكوميس . وكية العول في هذه الاشربة الل مما هي في الخمر .

هذه هي الاشربة المسكرة المستعملة اليوم في جميع أقطار العالم ، وهي
مركبة كما أوضحناه من عنصر أساسي مسكر خاص واحد هو الفول ، او روح
الجر ، وبه سميت هذه الاشربة المشروبات الروحية ، ومن عناصر أخرى
مختلفة كالآ ، والمواد الزلالية والسكرية والعنصرية والملونة والحوامض والاملاح
والارواح العطرية . وهذه كلها معروفة الخواص وغير مقصودة بالذات .
وتوجد في سائر الاشربة كالجلاب وشراب السفرجل والرمان والورد وغيرها
بكميات وكميات مختلفة .

ومن هذه الخلاصة التحليلية يتبين لنا ان المشروبات الروحية او المسكرة
لا تختلف عن سائر الاشربة المنشطة والمربطة الا من جهة واحدة : هي وجود
الفول فيها . فالخمر اذا جردناها من الفول تعود جلاباً لثة لشاربين ، والعرق
اذا جردناه . من الفول يصبح ماء مطراً كماء الزهر وماء الورد لا يصدح ولا
سكر . فالعول والحالة هذه هو العنصر الاساسي المقصود من الاشربة
الروحية ، هو الحوامض الفرد الذي تقوم به هذه الاشربة وتغز ، فهو منها بمثابة
الروح من الخمر ، كما ان قيمة الاجسام تقدر بحسب صفات نفوسها كذلك
تقدر منافع الاشربة الروحية ومضارها بحسب خصائص الفول الذي فيها .
اعني تأثيراته في كل من اجهزة الجسم البشري واضافته . ولعمري ان هذا
المطلب وعمل المسالك صعب المنال لا فيه من تضارب عظيم في الآراء واختلاف

تدبدد في المذاهب . فن قائل مع ابي نواس :

ومقعد قوم قد مشى من شرابها واعشى مقيناه ثلاثاً فابصرنا
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة ادركنا عليه الكأس يوماً فعمرا
او مع ابن صاحب تكريت حيث يقول :

ولورسم الرائي حروف اسمها على جبين مصاب جن أبرأه الريم
ولو طرحوا في ظل حائط كرسها طيلاً وقد اشقى لفارقه السلم
ولو نفخوا منها على قبر بيت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ومن مررد قول الصفدي :

دع الخمر فالراحات في ترك راحها وسبح كأسها للره كسوة تار
فكم البست نفس النقي بعد نورها مدارح قارفي مدار عتار
ومن الاطباء من جعلها غذاء خيراً من الحنطة والصل . ومنهم من صيرها
ترباقاً فيه شفاء الروح والحسد . ومنهم من ذهب الى انها تار تحرق
الاجسام ولا تبق على الارواح . تلك الحوت ولا تذر النسل . فليت شعري
اي هذه الاقوال الصحيح . وايها اهدى لحق ؟ ومن هؤلاء الرجال المصيب ،
ومن منهم الخفي ؟ كلهم ايها السادة مصيب على حد قول الشاعر :

رأيت بعينها ورأت بعيني .

وذلك لان كلا منهم نظر الى المسكرات بصين عقيدته الموروثة وهواه :
(وعين الرضا عن كل عيب كيلة) . وللمعتقدات والمعادن تأثير عظيم في
تكييف الافعال العقلية وتوجيهها ، ولولا ذلك لما لبانبت آراء الناس في
المذاهب والاحكام والاخلاق ، فكم من حقيقة هلية كان العالم بامرء يعتقد
بعكسها ، حتى اذا ظهرت قايومها بالشدة والعنف ، مدفوعاً بعامل الشعور اليهم

الى ان خدعت سورة هذا الشعور الموروت وتغلبت قوة العقل عليه فأخذ يؤمن
بصحتها حارثاً بخطأه الاول وجهله القديم . ونظرة عامة في صفحات التاريخ ، تاريخ
نسوء الافكار وتطورها ، تاريخ الكشوف العلمية والدعوات الدينية تكفي لادراك
هذه الحقيقة الباصرة ، وللدلالة على ان صوت المجموع ليس هو على الدوام صوت
الحق ، وان الفرد يرى بعين العقل ما لا يراه المجموع بمجمله واطافته العريضة
وان السور يشق من الفرد ليهتدي به الصالحون بادي' بدء ، ثم ينشر الى
ان يتم المجموع . هكذا قامت الدعوات الدينية ، وهكذا ظهرت الكشوف
العلمية والانتقالات الاجتماعية ، ومن يجهل ما لاقاه دعائها وم على الحق والعالم
على الباطل ، من صروب الاضطهاد والمهوان وانواع القتل والتعذيب ، وما هي
الا دورة من دورات الفلك حتى انقلب الليل نهاراً ، والباطل جولة تم تفصيل .
فأخذ الناس يدحسون في دين الحق افواحاً عالمهم تم جاعلهم وصحيحهم ثم مضى بهم
مقدسين من كذبوا بالامس يرفعون له التنايل ، ويحتونه دالامة الكبير
والعالم الخليل ، هكذا كانت شأن العالم مع الرسل والمصلحين ، وهكذا كان
شأنهم مع سقراط وطالبه ، وهكذا شأنهم اليوم مع العلم والعلماء في الحكم على
المسكراث .

الف الاسان الحرة منذ آلاف السنين ، واطارها بعضهم حتى حاصرت
عقله وله وامتزحت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضرورياً من لوازم
حياته ، فهي ماؤه وهي غذاؤه وهي راحه وهي ريحانه ، تجارتها اوج تجارة
وصناعتها اعظم صناعة ، حتى ان من الامم المظلمى من جعلها ثمرة حرته وزرعه
وقدم الخطب بها حتى بات شرها مظهراً من مظاهر المدنية والحضارة وحفاؤها
ضرراً من ضرور التوحش والعاوة ، وذلك حتى اواخر القرن الماضي

واوائل العصر اخضر حيث اخذ العلم يستقري خواص القول في الجسم البشري ، ما هي الا عشرات من السنين حتى ظهر العلم بان العالم على باطل في معتقده سلفه . نافع القول وحساته . فأخذ يدعوهم الى تركه والايمان بمضاره وصيئاته . فليت شعري هل من غرابة اذا افكر الناس - والناس من وصفت - دعوتهم وصفوا بكلمة ، وصاح قو انا وجدنا آباءنا عليه عاكفين ، وقام ناعته وصناعه يعمرون الكتبة بالمال ليطفئوا نور العلم باقلامهم تسويد وجوه الصحف وصحائف الكتب باطراء مباح المسكرات ومصار تركها ولا تتجبع لم سوى احصاب النار التمسحة ، لا دليل سوى الهوى . لا على سوى قوة الحبال ؟ ما سب ذلك انحر الحق عرابية ، فتلك نفرة طبيعية لم يحل من مثلها تطور من تطورات العالم الى يومنا هذا . اذا اخفنا الى هذه العوامل النفسية الحسية ، العوامل الاقتصادية والحسائر المعنوية التي نال بعض الامم من تعطيل صناعة المشروبات الروحية وهي تندر بالملايين من القديرات تقبل لنا خطورة موقف العلم . العلماء اللاعولين ، هول جهاد دعاة المسكرات في معترك الدواعي الهائل ، يفجئ لسنا كيف يتغلب صوت الحق الضعيف على حجة الباطل الهائلة ، يتجلى لنا كيف ، تتدور الحق الضئيلة في ظلال عادات الباطل المتكاثفة فتضيئها رداً رداً بدأ اى ان تصبح تعلقة متأحمة من نور ، دعا العالم سلفه اوائل القرن الحاضر الى الايمان بمضار المسكرات ، فانه نشاط العلم غضاً وحنقاً ، وما لي الا سنوات معددات حتى دخل في دين الدلم اصح الاسرار اساماً واشدهم بالمحافظة على الحرية الشخصية تمسكاً واثماً ، فقلوا سربهم . هذه بايديهم وهي ما عدا ، فضا على زيرهم بانه سب في ما عدا ، لا نمرابة فقد سبق القول بان الحق يهتدي اليه العالم فالخامل ، والسحيح فالمرضى .

ومن العجب العجيب ان تقوم الحرب ضرراً في اوربا واوركا ، في بلاد
المشروبات الروحية ومواطنها القضاء على العول وطرده وتطهير النفوس والاجسام
من شروره ، فتفتح البلاد العربية لهذا الطريق المحمق مواهبها كأنها استطابت
هلاك الجسم فهي تريد ان تضيق اليه فساد النفس ، والنفس هي الامم الباقي
من ذلك الرسم العظيم العاني .

فيا ايها النفس الثملة ارجعي الى هلك راضية بدمية ، ، علي ان هذا
الضيف الجديد اتد خطراً عليك من دائر العاصم الغربية التي تعبت في ارضك ،
والجرائم القنالة التي امتك في جسمك ، وذلك لان الارض مشاع والجسم
موقوف ، واذا اردت تساعداً على صدق هذا لقول ، فاستطقي العلم ، والعلم هو
الحق فهو يشهد . يقول .

« كلمة العلوه الطبيعية والطبية الاخيرة في الفول »

صفاته - الفول جسم مائى لا لون له ذو رائحة خاصة وطعم حار
عرقى قابل للاشتعال ، يستخرج من الموائع السكرية والنباتية المختصرة
كمصير العنب والنساج والكثيري والشمندر وقصب السكر ، التمر وغيرها ،
وكسوق الشعير والحنطة والبردة والارز والبطاطا وغيرها . وان هذا تحول
فيها الى سكر ، وعندما يتم فعل التخمر في هذه الموائع تحول الى «البل غولية»
يختلف مقدار العمل فيها من ستة الى عشرة في المائة . يستخرج هذا الفول
منها بالنقطير مادت خاصة منها الا يبق المعروف . ويختلف اسماءه قبل تصادفه
حسب مصدر . فالستخرج من سحر العنب يسمى عرقياً ، ويستخرج من قصب
السكر يسمى روماً وهلم جرا

وللفول منافع عظيمة في عالم الصناعة فهو من اهم المحرقات ذات الحرارة

الشديدة وهو يذهب كثيراً من الارواح والناصر الذهبية ويستعمل لاستحضار
كثير من المرائع العظيمة كالفلونيا وغير ذلك .
« استعماله في الطب »

اما استعماله في الطب كعلاج فيرجع تاريخه الى عام ١٨٦٠ ، واول من
استعمله في ذلك التاريخ الطبيب روبرت تود في شرابه المسمى باسمه . فعالج
به ذات الرئة ، وقد شاع استعماله منذ ذلك العهد في حل الامراض ،
ولا سيما الحميات العنيفة ، ووقع الافراط في وصفه شأن كل علاج جديد حتى
ان من الاطباء من كان يصعبه بمقادير عظيمة تجعل المريض في حال السكر
الشديد . غير ان التجارب والمشاهدات لم تلت ان أظهرت مضار الغول للعبان ،
تخمدت هذه السمرة السمية واحذ الاطباء بقلوب من وصف الغول في
معالجاتهم ، ويحذرون استعماله . ومن العلماء اليوم من يحرم استعماله تماماً .

تأثيره السيولوجي — اما درس تأثير الغول النفسي لوجي فيرد تاريخه
الى أواخر القرن التاسع عشر . قد تحلل هذا الدرس صعوبات حمة ، منها
ما هو فاشي . من المعتقدات ، والآراء الحارضة عن العلم ، ومنها ما هو حاصل
من اختلاف طرق التجارب العلمية ، تعدد أنواع الاثربة الروحية ونوع تراكيها .
ومما يجب ملاحظته واعتباره في درس تأثير الغول السيولوجي . مدة استعماله ،
والسن ، والجنس ، الدبسة ، الوراثة ، وصحة الجسم ، وحالة الكبد ، النكباتين ،
والجهاز المعدي . وذلك لان لكل من هذه العوامل تأثيراً خاصاً في تكييف
فعل الغول في الجسم البشري .

وقد تبين من التجارب التي قام بها الاستاد بوشه (Pouche) ان
النكية اللازمة لقتل الاسان الكهل المعتدل الجسم الذي لم يألف شرب الغول

الثة ، هي ستة غرامات غولاً لكل كيلوغرام من وزنه ، فالرجل الذي وزنه خمسة وستون كيلو غراماً يقتل اذا شرب ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين غراماً من الفول الصرف اي تسعة غرام من العرقى او القويباق . وقد شاهد طفلاً عمره سنة أشهر أعطي شرباً فيه ، لمقتا قهوة من القويباق مات في تسع ساعات . ويختلف تأثير الفول حسب ما يكون صرفاً او معزوحاً وبسبب تمديد هذا المزج .

هل الفول غذاء . - ومن أم المسائل التي نازعت فيها آراء طاه المسيولوجيا زمناً طويلاً مصير الفول في الجسم البشري . وهل هو غذاء كالخبز والسكر . فمن الاطباء من كان يقول بان الفول يمتزج في الجسم كسائر الأغذية . ومنهم من قال بأنه يحايز الجسم اجيازاً دون ان يحول فيه تحولات يستحق الذكر ومن دعاة الفريقي الاول لايبيج (Liebig) هو يقول بان الفول يقوم في الغذاء مقام المواد السكرية والنشبة . وهو يفضلها ويفضل المواد الازلاية ايضاً كالحم والبيض لان الفرام منه يفسر سع سعرات (والسعرة هي الكالوري) بينما الفرم من اللحم والسكر لا يفسر سوى ثلاث سعرات ونصف الى اربع سعرا : . وقد ظل هذا الخلاف قائماً ما بين الاطباء الى ان قام شوفو (Chauveau) عام ١٩٠١ بسلسلة تجارب على الحيوانات درس فيها قيمة الفول الغذائية بالنسبة الى المواد السكرية . وقد أسفرت هذه التجارب عن النتيجة الآتية :

ان ابدال قسم من السكر بقسم يعادله من الفول في قوام غذاء الرجل الذي يشتمل يحدد نقصاً في قيمة العمل العضلي المطلق .

وفي سنة ١٩٠٢ قام انواتر ونسديك في اميركا بتجاربهما المشهورة ، وهي التي تقوم عليها أبحاث العلم الحاضرة . وحلاصتها . « ان الفول يمتزج في

الجسم ، أنما لهم مدبر يفرض بواسطة الكليتين والحلدة والرئتين » . وبما ان قيمة الاغذية كانت تدور في ذلك الصدد ، اى قبل الحرب العامة بمقدار السمات ، اى الحرارة التي تسددها . استعاد باعة الفول وتجاره من نتائج تجارب انواتر وبدليك ، فاستمروا ، ما لمحتهم . احدى بطرون منافع الفول الغذائية بالنشريات والصفى اليومية ، تحت عنوان : (العول غذاء) ولكن لم تلبث هذه النظرية طويلاً حتى بدا خطأها . فقد برهن روبنير (Rubner) على ان الحرارة التي يحدتها الغذاء في مرض ، وليست هي الغاية . وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحددها ماسدة ، وان قيمة الغذاء تحددها بحسب ما يستفاد من قدرته في حصول الاعمال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، ولو لم يكن الامر كذلك لساع لنا ان نشتغل بدل غول اخصر عول البطاطا مثلاً الذي يستعمل للتسل لانه يحدد حرارة اكثر منه . هذا وقد صرح انواتر بنفسه وكلمته هي كلمة سائر علماء الفسيولوجيا اليوم ، بانه اذا كان العول يحدد غذاء فهو غذاء سيء ، غذاء مكروه ، لانه يجرب الجسم اثناء ائتماله فيه . هذه آخر كلمة علم الفسيولوجيا في أم حاسة كان يتمتع بها العول حتى اواخر الحرب العامة . ولننظر الآن في تأثيره في أجهزة الجسم الدتري كل منها على حدة .

تأثير العول في الجهاز الهضمي — عندما يشرب المرء جرعة خفيفة من الفول يشعر في ناحية معدته بجمرة لطيفة ، اما اذا كانت الجرعة كبيرة فان هذا الحس يكون شديداً ، اذا تجرّع الانسان الصحيح مقدار خمسة عوامات اى درهم ونصف درهم . من العول المحدد بالماء فستة ثلثيه فان هذه الكمية تحدث زيادة في الافرازات المعدية الهاضمة . اما اذا أدمن الانسان الشرب ،

فان كمية الافرازات المعدية تنقص ويقل فيها فعل المضم وتصلب أنسجة المعدة ونشأ عنها الالتصاقات . سوء المعيم المزمن والتي الذي يشاهد عاكاً عد الكبيرين .

تأثيره في الدم — عندما تمتص المعدة العول يدخل الدم فيخفف مائه ويغرب من كرياتة الحمراء ويزيد في عدد كرياتة البيضاء ويتحد مع اوكسيجين الدم ليخول الى حامض حلي وخلات الصودا فتتقص قلوية الدم وتثقف المبادلات الحيوية .

تأثيره في الجهاز الدوراني — ان الجرعات المتوسطة من العول تحدث بادي بدء زيادة في عدد الضربات القلبية لانتلب ان يعقها نفاص . ويزداد الضغط الدموي في بادي الامر ثم يخف . اما اذا كانت الجرعات كبيرة ، فان فعل العول القالج يظهر حيثذ جلياً وتتناقص سعة ضربات القلب ويخف الضغط الدموي ويقع عدم الانتظام في الحركة القلبية . يحدث إدمان العول تصلباً في الشرايين الشعرية وفي الاوردة ولا سيما أوردة الاطراف السفلية ، وعصبية في أوعية الدماغ نشأ عنها جميعاً امراض القلب واوجاع الساقين والعالج .

تأثيره في الجهاز التنفسي — ان الجرعة الحفيفة من العول تزيد في سرعة التنفس وسعته ، و كمية امتصاص الاوكسيجين ، ولذا حامض الفحم ، ويغيب هذا التزايد نقص في هذه الاعمال ولا سيما اذا كررت الجرعات فيحصل بطء في النفس ويصير "مطعياً" ونقص المبادلات التنفسية دسره في الرئة للالتصاقات كذات القصبات المزمنة ، ذات الرئة والعرعر بنا والسيل الرئوي . اما تأثير

القول في الصغرة فانه يحدث فيها التهاباً مزمناً يولد خشونة في الصوت يُعرف
مدمنو السكر منها لأول وهلة .

تأثيره في الحرارة والمبادلات - يعتقد كثير من الناس ان القول يزيد
في حرارة الجسم ، فهذا الاعتقاد باطل مخالف للحقيقة ، فان الجرعة الخفيفة
من القول لا تحدث تدلاً في حرارة الجسم . اما الجرعات الكبيرة فقد سبق
لنا القول بانها تحدث مطاً في ضربات القلب ، وهبوطاً في ضغط الدم ، وتوقفاً
في المبادلات الدموية . فينتج عن ذلك هبوط في حرارة الجسم . قال الاستاذ
بوشه : « تهبط الحرارة المركزية عند التملين الى درجة ٣٠ او ٢٦ وهو هبوط
عظيم » . ولهذا يحظر الطب استعمال المشروبات الغولية في الاسفار الباردة
لان الحرارة التي يشعرها التارب هي حرارة وهمية ، ونحوها يا القوياني في
الاسفار الباردة عظيمة ومشهورة .

تأثيره في اعضاء الناسل - قال لانسرو (Lancereaux) ان
ادمان القول يحدث ضمور المبيض عند المرأة . وقال برنوله (Bertholet)
شاهدت اتناء تشرريح جثث مدمني السكر ضموراً أو تصلباً في الخصى ولم أتعاهد
الحويبات الدوية في ست وثماني من المئة من الحواث التي شرحتها ، وهذا
يوضح لنا اسباب العمى والعدّة المتشبهين عند كثير من مدمني القول .

تأثيره في الكبد - ان اتسم المزمّن بالقول يحدث غروياً عالياً في
خليات الكبد . النسيج الخلالي ، ويشأ عن هذا القفرم امراض كثيرة ، منها
البرقان الحبيب ، مها يورم الكبد : تتحمه وتفحمه ضموره ، وتشمه والاستسقاء
وتزيف الدم اليه . البواسير .

المراز النول — ان التجارب التي قام بها نيكلو (Nicloux) والمرها
بجمع العلوم اثبتت ان النول يفرز بواسطة البلغم والقاب وعصارة (البنكرأس)
والصفراء ومائع النخاع الشوكي والمني واللبن عند المرضع والمبيض والبروستات
والمنية ، فان الرجل الذي يلامس امرأته في حال السكر يفرز حويثات منوية
ثمة يأتي ولده من تأثير مباشر لها الصرع وللتهابات الدماغية . وان
المرأة التي تنجب قبل الولادة بساعة مقداراً من القوياني يشاهد النول يسلط
دم الجنين بعد الولادة ، وان المرأة التي ترضع ولدها وهي سكرى ، تسكره
وتعرضه لامراض عصبية ونخية . وقد اهتمت الام المتقدمة اهتماماً عظيماً لهذه
النتائج العلمية لما لها من العلاقة الكبرى في تربية الاطفال واصلاح النسل .

تأثير النول في الجهاز العصبي — ان النول ولو كان خاصاً بالاعصاب فهو
يؤثر فيها مباشرة فينهبها باديء بدء ثم يحدث فيها خدرافاً فاسترخاءً فالنعالج حسب
قوة الكمية المأخوذة وكثرتها . وقد تبين من التجارب التي قام بها اخيراً
هان ماير : ان النول تأثيراً كجاء يأتي الاعصاب ، فهو يذيب شعورها ويحدث
انقراضاً في زوائد العصبيات فيضعف فعلها ثم يطله ، فالنول والحالة هذه مخدر
غير مسبب كما يظن ، وما النشاط الموقوت الذي يشعر به التمل باديء بدء الا فعل
متمكس عن اعضاء الحس ولا سيما الذوق ، وقد اظهرت التجارب العلمية ان الكمية
المتوسطة من النول التي لا تتجاوز العشرة دراهم تساعد بدرجة قليلة على زيادة العمل
ولكن هذه الزيادة لا تلبث اكثر من عشرين دقيقة حتى تلتشى ويقبها
نقص في القوة العقلية ، وقد ابدت تجارب اندية الرياضة البدنية ومشاهداتها
هذه الحقيقة العلمية . والنول مبطل للحس خلافاً لما يدعيه شاربوه من ان

احساسهم يزداد بشربه، اما سبب ادعائهم هذا فناشيء عن نقص شعورهم بفعل
الفول المخدر، فانثل لا يحس بالألم، وقد استخدم الجراحون هذه الحامضة
قديمًا لتخدير المرضى لاجراء العمليات الجراحية الكبيرة .

اما الحالات المرضية التي تنشأ عن هذه التأثيرات فامهما : الرضة والالام
العصبية وذات الاعصاب المحيطة ووهن الاعصاب والفالج . واذا استطعنا
احوال عشرة اشخاص من معاقري المشروبات الروحية نجد ان الثمانية منهم يشكون
وعتاً في عضلاتهم وخصوصاً في قوام العنقية والعنقية وتقللاً في رؤوسهم وتغيراً
في طباعهم اعمه الحدة وسرعة الضجر، واذا قلت لم ان هذه الاعراض ناشئة
عن شرب المسكر يحسبها سلباً بان هذه الاحوال تزول تاتاً بشرب العول،
وما ذلك الا لان الفول يبطل لمس، وهل من شعور لمن بطل حسه .

قال لغران (Legrain) في كتاب التسمات من مجموعة الامراض الباطنية
والدواوة المطبوع سنة ١٩٢٢ « ان اصفر كية من العول تحدث اضطراباً في
الافعال السماحية الطبيعية، واذا كان هذا الاضطراب لا يقع تحت ادراك
حواسنا لقلته فهو يبدولنا جلياً عندما تزداد كية العول، ويؤول عواة
الفول هذه الاختلالات الدماغية تأويلاً مخالفاً للحقائق العلمية مستدين الى
الحس الذاتي التسمم وهل للريض من شهادة تقبل مفصين الطرف عن تجارب العلم
ومشاهداته، وام هذه الهطيات المخالفة للعلم هي ان الفول منبه ومشط، على
حين اثبتت التجارب انه مخدر ومنوم . اما النشاط الذي يشعر به السكير فما
هو الا اشارة الى اختلال الموازنة في الملكات التسمية العصبية، فهو خطأ احصي
متولد من تقدير قوة المراقبة النفسية « ومن النوادر التي تروى عن ابي اس
وهي تدل دلالة واضحة على نقص ملكة الشعور بالامان وتلبها ماء السكر، اروي

من انه شوهد يوماً يصحك من رجل سكران اقيه في الطريق ويسخر به ،
فقبل له لم يتهزأ به وانت في كل يوم مثله : فاحاب اني والله لم اشاهد في حياتي
سكراناً قبله ، وذلك اني اول من يسكر وآخر من يصحا .

تأثيره في الاخلاق - اما السكر المزمن فانه يقود حتماً الى فساد
الطباع والفرائض وضمف الفاعلية وفساد الانفعالية ، فيعترى المرء الضجر والملل
ويصبح شرس الخلق ، لاثبات له على العمل المنتج ، ويفقد الشعور العيالي فلا يهتم
بواجباته الزوجية ويحمل مصالح بنيته ، ويغصر همه في الحصول على ما يتطلبه
من الغول بدافع الاحتياج الحسي ، وكتيراً ما يقوده هذا الاحتياج الى
بذل ماء وجهه ومعاشره الادنياء والسفهاء ، وفقد الغيرة على العرض وارتكاب
الجرائم الذميمة الدنيا ، ثم تضعف ملكاته العقلية وروبدأ ورويداً ، وتثر به
الهذيانات العارضة والاهوام ، والصرع والدنة الى غير ذلك من انواع الجنون ،
ونظرة خفيفة في احصاءات مستشفيات الامراض الباطنة ودور المجانين
واحصاءات السجون والمحاكم ، وجولة خفيفة ما بين حدران هذه المصانع العامة
تكفي لتأييد هذا الحقائق العلمية الراهنة . فان القسم الاول من الجناة والمجانين
والمرغى بالآفات العصبية والقلبية والاستسقاء هم نهبايا الغول ، نهبايا
المشرهات الروحية ، قال غلادستون : وحسي بقول هذا السياسي الانكليزي
الشهير حجة على صحة ما قدمت « ان مضار الغول تزيد كثيراً على مضار الطاعون
والحرب معاً » . « ولا غرو فقد قال لجران (Jerrain) لاننا اذا جمعنا ما نلحقه
الامة الواحدة من الاموال لشراء المواد الاولى الخاصة بصنع الغول كالمسب
والحبوب والثمار السكرية وما نثكبه من النفقات على دور المجانين وعلى حياة

النفوس التي تصفها المنون قبل ابتاعها ، وعلى العاهات الوراثية ، وعلى المتشردين وعلى الجناة ، الذين كان العول علة آتامهم وآلامهم ، نجد امامنا مجموعاً كبيراً على المليار من الفرنكات ، ثلث امامه نفقات الحرب العالمية الكبرى وضحاياها صغيرة حقيرة ضئيلة ، مما أحاب بالحكومات والعلماء ، والقسم المتصل من الأمم ، ودفعهم الى أن يتنادوا بملأ أفواههم العدد الماحلي هو العول .

تلك كلمتي ايها السادة في تأثير العول في جسر الفرد . اما مضاره في نفسه وبسببه وفي الأسرة وفي الأمة فهي ادهى وانكى .

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب ويلتذذ بجلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخلها الانسان مدفوعاً بهامل اللذة . فكانت تنحصر فياً كلها مخمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهو به سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما قال منها وطراً يحدّثه وصلها طلقاً . وكلما رشف منها وشلاً تلفظ لكاسها غلاً . وكلما ارتقى به الحضارة باناً زاد في صناعتها ابتداءً صنوعاً وانواعاً . الى ان احدث منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى العول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إيسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء العول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدتها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة

وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي المات . فأعجب بها من مستوفة بمقونة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مليكة ، وطريدة مشودة ، ومساحة محرمة ، وعاهرة مشرفة ، لا يضمنها الوصل ، ولا يفسد من ملاحظها الدهر . يأثمها المرء لأول مرة بجمالة أو تشبها ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على أمره . فليت شعري ما علة هذا بذلك المنوع . وما السر في هوى بنت الفواحة والهوى ؟

الاسباب : منها ما هو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ما هو نفسي ، فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لسل الفولبين اعتماداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج القرابين أشد الى شرب الخمر من احتياج الشرفيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤثف شرب الخمر ادعى الى انتشار معارفها من الوسط الذي يحرمها قانوناً أو شريعة أو عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحب التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسية ، وهي لعمري العامل الأقوى في انتشار المسكرات ما بين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، وإي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياب النفسي الذي يحدث عندما تحقق اهواء الانسان انكاسة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لان التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء إتيان

ما يخالفها عما تشتهي نفسه ويصور له قلبه ، وتضطره الى كتمان ميله وتبوءه
وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى ما يستوجب الحزن والمار ، ومن
الاحرى ما يستدعي القصاص والدمار ، فلا تبليغ للوضع الطموح ان يكون
ملكاً تمنوله الرقاب ولا لتقدير ان يكون غنياً ينعم برغد العيش وأبهة الحياة ،
ولا لتني ان يدفع به ماله مرضاً عفاً او يستهوي به قلب عادة فتاة ، أسرته
لحاضها ، وأقصاء عنها عفافها ، ولا للماسق ان يغازل عشيقته على مرأى من
الناس او سمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف يده ليشفي ببطشه ظله ،
ولا لجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به ريقه ، ولا لصديق
ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار لتأجيج من الحب والموى . الى غير
ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كان تحقيق كل هذه الاهواء
متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي
سببة شخصية وبات الشقاء البشري عاماً لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة
الاخروية ونسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها
من الظهور والتحقيق فيسبب بهذا المع تملك النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل .
فالعقل هو القوة الوحيدة التي تروح الانسان عن غرق القوانين ولأحكام ،
ومخالفة التقاليد والمادات ، وهناك الشرائع والاديان ، وتحمله على حرمتها
ورعايتها هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للأداب
والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حين التعمور ، ويحصرها في
سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تقوى بل تسجّل الى قوى كامنة
مسممة لاشعورية ، لتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف

دائم مع العقل بغية الظهور والتحقيق ، فينشأ عن هذا الجدال اللاشعوري عدم
الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المجهم الذي فلما يهتدي المرء الى تحليله
وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وسبابة اخرى اخذ
الاحسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ
بعقل . ولا مشاحة لول الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي
يتحمل منها اليوم كل انسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل
الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه
هذه الحقيقة ، فجعلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك
قول الشاعر : ما لغة العيش الا للجائنين -

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجاهالة في الشقاوة ينعم
وقوله :

تصو الحياة لجاهل او عاقل عما مضى منها وما يتوقع
وقوله . وبعض العقل عقاب :
وقول ابي جعفر النعماني :

تحمق تطلب عيشاً ولاتك عاقلاً فقل النفي في ذا الزمان مدوه
ولاني الربيع محمد بن علي الصفار السلمي :
طاب عيش الربيع في ذا الزمان والجهول العقول والصفعان
واشد ابو مصور مهمل بن علي الضوي :

الروح والراحة به الحق وفي زوال العقل واخرق
من اراد العيش في راحة فليترك الجهل مع الحق

وجاء في النظرات المنطوية في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في هذه الحياة المقله ، ويقولون ما لذة العيش الا للجائنين ، اندري لماذا ؟ لان نصيب الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين . وذلك ان عقل المائل يحوّل بينه وبين استمرار الطيراني في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى ما بين يديه من الحقائق الملوّمة . ولا يسمح له علمه باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفة ان المصائب والاكلام ، لازم من لوازمها التي لا نمارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار المناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤمنين ، ولا يتلذذ بتصديق ما لا يكون تلذذ الجائنين » .

ولما كانت النزائر الحيوانية تأتي ان تفضّل وتفتي بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يتخلص من قيود عقله ، ليحفر من آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاعتدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيسا والعليا تخديرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والعول القوي فمن في صده . وقد نفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسمّ دماغه بإرادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنوناً اختيارياً موقوتاً .

قال المنطوي في كلمته الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المومنين بتخدير أعصابهم . كشاربي الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الأفيون وهي وان كانت في نظرم حياة سعادة يغفلها شقاء . الا انها خير عندم من حياة شقاء لا يغفلها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ما وجد

في الناس هذا الجمل المعبر من الشعراء التخليلين والمابدين المتبذلين .
لا يجد السكير لغة العيش وهنأته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب
فقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف
يرى فيه كل ما تشتهي نفسه ان تراه . فان كانت قبيح الوجه مشوه الخلقة ،
تحيل انه شرك الابرار وفئة النظار ، وان القلوب محقة على جماله ، تخليق
الاطيار على الأشجار ، وان كانت فقيراً معدماً لا يملك فلساً واحداً نوم انه
جالس على عرش الملك ، والصولجان في يمينه ، والتاج فوق رأسه . واعتقد
ان عهد الله تعالى جميعهم عبده ، وجنود المملكة باسم جنوده حتى ذلك
الجندي الذي يسجد على وجهه الى غرفة السجن ليقتضي فيها ليلته .

وجملة القول ، ان عينه لا تقع على ما يحزنه من المطورات ، وان اذنه
لا تسمع ما ينفذه من السموات حتى ليرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء .
ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الفناء .

فالمكر والحالة هذه جنون عارض يهدف بتغيير الأعمال النفسية من
درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والمذبات ، الى الحذر
والحمل ، حسب كمية المادة المسكرة وكيفية وحالة الشارب ومزاجه . واليكم
صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الفول حسب الادوار الحادة التي
يحتاجها . وهي تقسم الى خمسة أدوار : دور الشوة ودور التمل ودور السكر
ودور السبات ودور التالنج .

فالشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع
القليل من الفول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها
النوع الجنوني المعروف بالمايپا او الجنون السبي . وتنتصف بنشاط الجسم

وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضي المينان ، ويزداد عدد الضربات
القلبية ، والمبادلات النفسية ، وتقدر الاعصاب ، وتسكن الآلام . ويشمر
المرء بهجرة لطيفة في جميع اعضائه ، وخفة في جسمه ، ويجعل اليه ان قواه
قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه
وتنوارد حواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم ناسق في تداعياها .
وتنوقد الذاكرة وتسرح الخيلة . فيذكر ما كان ناسيا كأنه يتدع من الصور الخيالية
ما لا يقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز
والامثال والكنائبات والقدح . اما كما كتبه ومميزته فيستولي عليها الصنف والحفة
فتأتي قياساته . اهية لسرعة الحكم ، وتحول النباهة والعجز عن اعمال القدر
والتأمل . والمطر لحد المائدة والمراثة لتطلق اهواؤه المحصورة من قيودها .
فتنبج ثمة حقيقة الجبلية . فهو بكثير من اسراره التي ظالمها حرص على
كتانها . ولهذا قيل العول ، معيال الأشخاص ، ومحك الطائم . ويمتري
السكير في هذا المور الفره والاثانية والطرسة ، فيمسي سريع الانفعال
ميالاً للبطل والمشاجرة . محكاً للدمع والشاء الذين يدفعانه الى الكرم
والاصراف . والقول يحمل التوازن القائم . ما بين ظاهر المرء الصنعى وباطنه
المكتوم . ومن الخطأ العادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست
فيه موجودة لان الاناء لا ينضح الامامية . ولما كانت طوائف الناس وأخلافهم
وزعاتهم الجبلية والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع
صورة عامة ننطق على كل احري . في حال الشوة العولية . ولهذا يمكننا
القول بان لكل انسان صورة خاصة يمثل بها اناء السكر ، وان العول خير
كشف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتان . وكثيرا ما يتوصل به

الهداة الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وحائية .
تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بالخلل
قوة العقل والمراقبة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبيحية
على امواتها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية
النفسية والخيال ، دور الانطلاق والانشراح ، المتعارف بين الاندية
والمجتمعات العامة والحفلات الرسمية والخاصة ، وبمحمونه العادة المعتدلة والسكر
الادبي والكأس المشية . اما في لغة العلم فهو جملة امراض سم الدماغ الغولي
الاولى ، او الجذمة السمية العولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند
هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر عنهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور
التمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هذا الدور بجمود النشاط
الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور
الاخلاقي . فالشوان شارد الفكر والمواطف اما التمل فهو طائفت الشهوات
والغرائز ، لا سيما الحس التناسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على انانيته
وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالتقاليد والآداب العامة ، فيهبط من المعنويات
الى الحسيات ، ويتعرض لما فيه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث
السب والشم والضرب والقتل ، في سبيل المرأة في المرافص وعلى موائد السكر
عنا بمرعبة ، وادا اخضا الى هذه الاعراض نشاط الشعور العارض وهو القوة
والخيلاء وسرعة التهييج وعدم الشعور بالواجب فتبلى لنا صورة التمل باجلى
مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تحمد ما عدى الخيلة فانها تنطلق بصورة
خاصة ، فيأخذ التمل بالثرثرة وحلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف

عما يشاهد في الهذيان الحادة على اختلاف صورها ووضوعاتها .
وتزداد هذه الاعراض بازدياد تجمع العول فتطهر في نهاية هذا الدور اعراض
تأثير السم في اعصاب الحركة . يحتل نظام الحركات العضلية وثقدها ، وتعتري
الكثير الرعدة والاضطراب فلا يتمالك في المشي ، وتحتل موازنته ،
ويسترخي كلامه ، ويتداعى الى الجمود والجمود الفكري والحسي الى ان
يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخذل الدال دلالة واضحة على ان
المسكرات القولية محددة وليست مسبهة كما كانت بطن ، وانها من فصيلة
الايون والحشيش ، فيفقد الكثير ثمة لواء الحركة ويصبح عاجزاً عن المشي
فيقع حيثما يهوي به السكر ، خائر القوى عني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان
غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحر انمطم من الحياة الدانية المبهمة ،
يقبض يديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التلصص
من هذا الكابوس المومي القاهر ولكن هيات هيات فما هي الا نحيات من
الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقد حياتها
العملية . ويبرل بالسكير من درجة الحيوان الى مصاف السات .

وهنا يحتل لنا الدور الاخير من هذه المأساة الفجعة ، دور الفالج ، فيتراوى
لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبل ساعات قليلة جثة هامدة
بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس حشة تئصد ، ونبضات
قلب خائر ناع ، فنشر منها روائح كريهة لنفج مصر في البول والغائط ، اتقذى
لمظهره الاعين ، وتمتع وصفه الآدان .

هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي تعجل بها
السكير منذاول قطرة يجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث

مجموعها ولتأنيها احوال صنيعة في عرض البحر اصحابها اعصار شديد اقتدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واجسام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكذب يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكوتها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعتري روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تنوال عليها الزواجع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجعها الاحصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكة الروابط فانها لانتلت ان تحرب وتعتبر الى الفرق .

وهكذا غد السكر ايها السادة فان الاعراض التي اتيت على ذكرها ، ثلاثي رويداً رويداً ملحقراق القول في الجسم وطرده . منه بالافراز والمبادلات عن اختلاف اعضائها ويعود للمرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاستراى والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تحرقب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء باديئ بدء لدقته ولكنه يتفاقم ويظهر كلما تكرر حادث الشوة والسكر ، وبفسه كمية القول وكيفيته ، والزمن والنية ومقاومة الجسم . فتبدأ نمة اعراض داء السكر المزمن او العولية وهي داء عضال ينذر بتعلب القول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم المائع . و يدل دلالة واضحة على ان تلك المصرة الاولى او الرشقة المشبية العجية المباحة لا بد لها من ان تترك اثرأ في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فنشأ عنه حسرات وآلام نفسي صاحبها تلك الاحلام فيقدم ولات ساعة مندم . وقد انت الدكتور ميلاني (Mellany) تراكم فعل المقادير القابلة من القول في الجسم واخرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة العول في اسكتلرا المنشور عام

١٩١٨ كما اثبتت احصاءات شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصنف الحامض اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة الكثيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاءات اليوم حقائق علمية راعية لانها قائمة على اساس من المشاهدات مكينة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت تاجية ومقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

العولية — وبدأ داء السكر المزمن او العولية عندما يصبح الدماغ طحزاً من تحمل لعل العول . ويجعلى شعير في طباع المرء واخلاقه ، ترى ذلك الشاب المذهب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثلاً لنشاط والحد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتخلص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يأكل معهم من الناس ، ويقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، ونحشن معاملته ذو به ، ويحمل واجه نحو أسرته ، ويكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذ له شرب السكر ، ولعب الميسر . وقد حصل فريق من الحكماء هذا العلة الاخلاقي العرض الاساسي للعولية المزمنة . وقد دعوها الحنون الاخلاقي الكنيس . وذلك لان الاحتلال يعم فيها جميع انسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع أسرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصاعية .

اما علائم فساد العلاقات الداتية فامهما : عدم احترام الدات وعدم الاكثرات بها ، وقد الاراء والشرف والمروءة . النخوة والوحدان . الزاهمة

والعفة ، والطافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادئ العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، وعريضة الناسل والاعتماد بتهذيب الاولاد والحنو العريزي الانوي ، والتوقى والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .
واما فساد علاقاته مع غيره : فيجلى ضعف الصداقة ، وفقد المودة والمعاداة والرافة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي لكسل ، وفقد النشاط لعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المادي العامة .

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور وسرعة التأثر ، وسوء الظن واقتضاض النفس ، ومن الامور على غير محملها ، والاستئثار بالرأي ، والتفكر الثابت والعمالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوي الخلقية التي نشاهدما كل يوم في من مهد فيهم السكر المزمع .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا مع ضعف الملكات العقلية ولاصيا النبامة والمحاكة وقابلية الانثلاف ، والداكرة القياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني ويقتضى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما تقاس اعمال الفولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل يقطع النقط ، يتركب انواع الخطأ في عمله ويتداعى للاممال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . ترى ذلك الرسام الذي كانت يتدفع من المناظر ما يعين النظر ويجعل الطبعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالاد ببانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس ويتلاعب بالقلوب بتدهورون به ، بدأ رويداً بتأثير السم في رؤسهم الى ما دون الحد الوسطي

من الناس ، ولدت هذا السم بقف تأثيره عند تخريب الدماغم الدماغية العليا فقط ، بل يمتددا الى مرأ كرا الحواس لبسهما فيسبب الغولي مسيراً بحواس مريضة بنشأ عنها خطأ الحس والادهام السمعية والبصرية والدوقية والنسية ، والقيلات والاحلام المزججة ، والكابوس والارقي المتواصل . وفي ذلك منتعى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يمتازها الغولي منذ الكأس الاولى حتى الثالثة ، وقد يهون الخطب لبا لو كان هذا الداء لودياً يبيت مع صاحبه ويزول بزواله كجمل الامراض التي لا تعدى الفرد الى سواء . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد ويهدد الأسرة والحياة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهار كيائها . ولقاتل يقول ان من الامم من تمناعى المسكرات من آلاب السنين وهي لم تزل حية نمتع بقوتها وفوط عظمها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصب مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الام وحياة المنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يبع بعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لأول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم ينفش في اوروبا الا في القرنين الاخيرين . عندما اعتدت الصناعة الى استعماله بتقطير الحبوب والشحندر . ولان الحياة باتت فيها تعيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمعالجتها الى الالتجاء الى منه صني وحده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وحد نفسه وماله وولده عرصة لاغتياله . اما مضار الغولس الاجتماعية - فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول

من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسويجي مانيوس هوس (Magnus Huss)
عام ١٨٤٧ حيث قام بصف مسار القول في الجسم البشري و يندر يوخيم عاقبه
وفداحة مضاره .

اما الأقدمون فلم يكونوا لبشروا سوى الخمر الصرف الحلو من العش وقد
سقى لنا القول في الحاصرة الاولى بانه لايجوي سوى ثمانية أجزاء في المئة من
القول وهي كبة زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المره كيات
عظيمة من الخمر مما لا يعاينه كل اسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف
النولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالسل
والاfrنجي حديث العهد أفرته مشاهدات العلوم الاجتماعية والاقتصادية
والطبية ، ولكن النولية ادعموا انكي لانها تنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية
والاقتصادية والاخلاقية و . . .

ولقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور
التناسلية بالقول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد النولية .
ويتلخص قوله بانه ما من انسان يرتاب اليوم بان القول يحدث استحالة في كل
من مجيزات اعضاء السكر التناسلية . وقد أبدت المشاهدات والتجارب العلمية
السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كومبال (Combemale)
عن نسل السكرين المنشور عام ١٨٨٨ مانعه : « يحدث ادمان السكر ضمور في
الحصى حتى انك حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . ويسترجي الصفن وعضو
التناسل ويندر وجود الحيوانات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في
المبيض ويخلل نظام الطمث اي الحيض وينقطع قبل زمانه المتعارف .
ثم قام كيريل وتشوبر (Kyrle & hebopper) من جامعة فيا بفارب

عديدة على الحيوانات ، فأسكر واحدًا وثلاثين حيوانًا بالفول بإدخاله يوميًا زورقًا في المعدة أو سيفه الوربداو تحت الجلد فشاها بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع خصاها ، بلغ عند مماتها درجة شديدة أفقدت الحصى كل حبيراتها المنوية .

وذكر الامتاذان ويشلباوم وكيرل من فينا (Weichselbaum & kyrie) في بحثهما عن مضار الفول عام ١٩١٢ ان السم الفولي يحدث تغيراً سيئاً الحصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابدأ بفقد الالقية المنوية .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الفولية المزمنة على أعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح بحث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الفولي فشاها بعد الفحص المجهري ان معظم التغيرات واقع في الحصى بالنسبة لساير أعضاء الجسم .

ولقد فحص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث العول عند مدني السكر استجابة بمنسرة في الحصى تنتهي ضمورها وبفقد الحيوانات المنوية .

(٢) وتكون هذه الاستجابة ذهنية في بادئ الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الالقية المنوية .

(٣) ويحدث هذا التقريب حينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر العولي .

وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستجابة البنود في أعضاء التناسل لتأثير الفول حقيقة راحنة لا تقبل القدا ايدها التشريح المرضي والطب السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة .

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت معها حياتها مهددة بالانقراض فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً مؤولاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي نغرسها في بطن الارض عاطلة بان الثمر الذي سنثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب في ذلك .

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها ومقاومتها . قال لادام (Ladam) كانت شريعة قوطجنة تحرم على العروسين شرب غير الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل . وكانت رؤساء الدين في البلاد المدمنة السكر يمتنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاحراس وقال ابن عبد ربه في عقد الفريد : وربما بلغت جنابة الكأس الى عقب الرجل ونجله ، وكان المأمون يقول : يانطق الحمار .

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان سيجد بحقه في طاهات الاولاد العصبية المطبوع في ليبسيك عام ١٩٠٣ : ان رجلاً ولده له ولد ابله فكاتب اليه انه لم يسكر في حياته الا يوم بضع هذا الولد . مما يؤيد ايضاً ان السكر العرفي ذو دخل ايضاً في اسفالة النسل .

وذكر سباتية (Sabatier) في بحقه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة الآتية : رجل خفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر سيج حياته الا في الاسابيع الثلاثة التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غيب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم توازن النفس .

وقد ايدت مشاهدات يزولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية القديمة فانه درس ترجمة حياة سبعين قدماً اي انه فوجد ان النصف منهم وضعوا في حالة سكر الاوين يوم عيد المربع والباقيين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ١٧٩٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من البله وضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر . ودرس مولير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم وضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .

ودكر سيبش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد وضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقيون مصابون بافات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العملية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسكرها برائحة الغول بعد تصميده فشاهد ان مصحتها لم تحل كثيراً خلافاً لاعتقادها الاصلية فقد حدث فيها استهالة ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فحاء غلاماً لهشة ، الدبه مما يستتونه عجينة .

و يطول بنا البحث اذا اردنا ان نأثي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتقدمة العظمى في هذا الموضوع ، كله يثبت استهالة البنور الموية عند الرجل بتأثير العزل ويدعو الى عدم لامة النساء اثناء السكر الشديد

منها لفساد النسل وحفظ السلالة ، ولهذا أنقل من هذا البحث إلى . ١ . سكر المرأة بالنسل فأقول :

العولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في نموه المنوية فيفسدها فأنت سكر الام أثناء الحمل يفعل به الطفلة المصحبة وهي داخل الرحم ويعرضها للاسقاط والاستحالة ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بانه في المحاصرة الساعية بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجن داخل الرحم فيسمه وعرضه للعولية الولادية .

وقد أثبت كومبال (Combemale) مضاد سكر الام الحامل على النسل بتجارب علمية مشهورة ، منها انه اسكر كلة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فاتجنت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والراعي بخضبة واحدة والاتان الآخران مؤوماً الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطلب تجارب اوسكار ريدل وعارد بروسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bosselt) على بعض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوحدا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدعشة الخدالة دلالة واضحة على استحالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لافستين (Loughstem) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : اتى عهد على نساء فينا كن فيه مولعات واعا شديداً بالكلاب القزمة اي الصغيرة الحقة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكام . لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في الاكام . وقد كان من المعروف بمشاهدة والتجارب ان الكلاب السكيرات تلجج جراء صغيرة الجثث . فاستعاد احد اصحاب المعامل

من هذه المشاهدات فأسس معملاً لانتاج الكلاب القزمة ، وقد كان يصدر
كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات أثناء الحمل .

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي
عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها أثناء الحمل لا تقل عن تبعه
الرجل من جراء جماعه في حالة السكر .

الفولية بواسطة الرضاع - وهنا ننقل من الجنين الى الرضيع لنشاهد
القول ينساب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدم فامن طيب في جميع انحاء العالم
بعاني طب الاطفال الا ويحرم على الموضع شرب القول أشهر الرضاع ، وذلك
لان الانسداد التي يلحقها سكر الموضع بالرضيع أعظم من ان تعد ويحصى . وليست
هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط . بل هي سلبية تجارب والمشاهدات
التقدمية العهد . فقد كانت شربة اليوتان تمنع الموضع من شرب الخمر والمشروبات
المسكرة محافظة على صحة الاطفال وسلامتهم . وقد أثبت نيكلو (Nicloux)
ان القول ينفذ مع اللبن عند الموضع معا فأت كيمته التي تشر بها . وهو يظهر في
لبن الموضع بسرعة عظيمة قد لا تزيد على ربع ساعة من تناوله .

اما المشاهدات السريرية المالة على ان لبن الموضع السكيرة مم فتال
للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر . منها ما ذكره فرني (Vernay) في
ليون مديكال عام ١٨٧٢ من انه شاهد مريضاً تشرب يومياً ست كاسات
من النبيذ فأصيب طفلها باختلاجات عصبية شديدة كادت تؤدي بحياته .
فأجبرت الموضع على ترك النبيذ مدة فشفى الطفل . ومن ذلك ما ذكره ديفوازين
(Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وليات الاطفال في نورمانديا تزداد

من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاحفال اللبن الصناعي بلبن المواضع
اللاقي بتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة
اي البيرة للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الحرة . فيعرضون
بملمهم هذا اطفالهم لانواع الآلام والآفات . ولا يقتصرون الضرر الفول بالطفل
لحسب بل هو يلحق بالمرضع أيضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها
خاصة الارضاع وهذه حقيقة أبدتها مشاهدات العلامة بونج (Bunge)
واحصاآته العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الفول في خاصة
الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة
الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضموا الى استقراآته .
وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من
ساكنات (بال) طاجزات عن ارضاع اطفالهن ارضاعاً تاماً وهكذا حال النساء
في سائر المدن الاوربية المركبة ، وان سبب هذا العجز هو الفولية الوراثية .
وان انتشار الفولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم ارضاع الأطفال
ارضاعاً حقيقياً وان عدم الارضاع هذا سيؤدي حتماً الى تجميعين مؤلمتين
احدهما أخلاقية وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي
فقدان المقدرة على الارضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد
الأسرة وتداعي كيان الامة . وقد أبدت نتائج بونج (Bunge) هذه
مشاهدات شتمفس (Stumpf) في نافيا بلاد الجعة . فانه شاهد ان
فرط شرب البيرة يحدث تخلفاً ضخماً في الثدي فيجعلها غير صالحة
للارضاع .

العولية ووفيات الاطفال — ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي نشأت
عن معاقرة الغول موت الأُجعة في الأرحام وفط وفيات الأطفال . وقد
حادث استقراءات لوليفان (Lullivan) مؤيدة هذه الحقيقة المؤلمة . فان
هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة تنعاطى شرب الغول خلال سنتين معينة ولدن
فيها مئاة ولد . فشاهد انه لم يمت منهم سوى ٢٦٥ ولدآ . اما الباقيون
وعدد ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما
يحمل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٨/٥٥ في المئة في حين ان نسبة
وفيات الاطفال عند المعنفين عن الغول هي ٢/٢٣ في المئة . ومعظم وفيات الأطفال
بنسبة إدمان سكر الأبوين المرمن . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً
ان النساء المبتليات بالغولية الواقى لا يعيشن لمن اولاد يصجن أمهات ذوات
اولاد اذا هجرن الغولية وانتظمن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي
عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاءات العلمية الآتية : فان هذا العالم
أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٢٠٠٠٨ أولاد فشاهد ان
نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لا تنعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في
المئة وان نسبة الوفيات في الأسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ١٢/٢٣
في المئة . وان هذه النسبة تصعد الى ٢٠/٣٣ في المئة في الأسر المدمنة
السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب دافع
لاقتطاع النسل واسمحلال الامة .

— احتمالة النسل الغولية — ولننتقل الآن من الماهية الى الكيفية

لشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الأبناء وصور أبدانهم ونفوسهم . فقد سبق لنا القول بأن الغول يسد البذور المنوية وإن من الحبة العاسدة لا يجمد الاثر فاسد . ونظرة خفيفة في إحصاءات أطباء المدارس في الممالك الراقية ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، وإحصاءات المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلة .

قال بورنيل (Bourneville) انه استقرأ حياة اروي الف قدم ابي ابله مشاء بالبلاهة لا يعقل ولا يحكم ولا يبي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانوا من مدغني الغول في (١٦٥) حادثة .

وقد حص اليكس يكل (Alex Nicholle) من نيورك (٦٣٠٠٠) تليذ سيف المدارس فشاهد ان ٧٧-٥٣ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحدالوسطي من الوجبة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . وبالتنظر لتفاسم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوروبا واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، بسند ادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائيين . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الاضرار ، مما يكدها نفقات عظيمة وبثقل كاهل موازنايتها السنوية .

الجنون والغولية — وقد لا تعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً تجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من القيراط على دور المرضى والمجانين التي تقسم بين جدرانها الوفاً ، ولعة من انقراض البشرية الذين كان الغول من

أكبر العوامل في تقييد من الانسانية ، وإلزام البشرية بهم ، مما تضطرب لهولة القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره ماينان وبوشرو (Magnan & Bonchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آن .

وجاء في الاحصاءات الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) وماينان (Magnan) ولگران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجي قطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاءات صويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء .

وجاء في احصاءات ملاجي بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاءات ملاجي انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٢٦/٣ في المائة عند الرجال و (١٠/٤) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) للملاجي ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام ١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و ٥/٩ في المائة عند النساء .

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (Warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/٦ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول .

والبيك الآن الاحياء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيويورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره . فان هذا الاحياء يذكر انه دخل ملاجي نيويورك خلال سنة ١٩٠٨-١٩٢٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخلين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٢ حيث استقرت . ثم اخذت لتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات .

تلك فطرة من اهل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاءات التي قام بمجمعا وضبطها جهازة اساتذة العلم في المالك الراقية في جميع انحاء العالم . وكما متضايف متضامن على تأييد حكمة تلك الآلة الكريمة (واتمها اكبر من قعها) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والامرة والامة ، وان الغولية داء عضال نفس في هذا العصر في الامم العظمى نفسياً مريباً لاهل التاريخ بشله في الازمة النائرة . وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر . وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبقسة لم تحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا بعيد .

قال لگران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العلمية ما نصه : (الغول سلاح مهلك يهد الامم الجائرة تدفعه الى الام الضعيفة فتفخر به) (فن ذا الذي لا يعلم ما فعله مستعمرو امريكا الشمالية بسلاحهم المدعى ماء الحياة بكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء . ومن ذا الذي يجمل ما نصته بالاحود في مستعمراتنا الافريقية

وما نحاوله بالعرب . ومن يحمل ما صنعه الاسويجيون . هم اللايون . » الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك . فالانكاين باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نخصد السود بجمورنا وغولنا . تم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بعد الام القوية ستقصي هي نفسها بهلاك هذه الام القوية (ما دامت مؤوفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا تنقص عنها » .

وبما تقدم بهانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لما انت للقول مضار عظمى ومنافع ضئيلة . وتختصر هذه المنافع بامرئين : احدهما ان القول غذاء ، والثاني انه منبه . اما القول بان القول غذاء فقد أطلت تجارب روبير (Rubner) التي برهنت على ان ساكل ما يشتغل في الجسم يعد غذاءاً . وان نظرية تنظيم الاعذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح انواثر وبنديك تقسما وهما اللذان اتنا تقاربها قيمة العول الغذائية بانه اذا كان العول يعد غذاءاً لاحتراقه في الجسم فهو عداء مبيء غذاء مكروه لانه يحرق الجسم اثناء استعالة فيه . وعلى ذلك فقد اضاع القول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا يأمف كثير آلهه الحسارة لان غواته لم يشقوه لاحتلال لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة . احل ايها السادة ، ان القول منه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والماهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجساء من التفاوت ولما بطراً على الجسم لواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان

هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها و يضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كيتها تدريجاً فيتجاوز عمله هذا الحد الصحي ويعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها .

واذا كان في الامم افراد قليلون ذووا إرادة قوية وتربية صحيحة فيوسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحضوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، هم كما قال لمران أضرّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يمثلون للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعة وبعته عنواناً لسلامتهم ، فيقلدوهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهبون الى اتقى الحياة المادية والمعنوية .

من الفضيلة والاسانية اذاً ان بغادي هذا الفريق العاقل تلك اللذة العارضة كي لا يكون ظمأً في شراك الغول يقتال به الوالد ثم الولد والاميرة ثم الامة .

وقد اهاب ندير هذا الخطر المدام بالامم الاوربية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بتدبيب السر ، صر العولية الى مراكر اعضائها الحيوية . ما كبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظمت العاقبة وقامت ثندياتي كما ثندياتي الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس براته ، كما تشعب الياف السرطان في الحسرة فئات الويل فينزع الموت في تركه .

جيوش حرارة من علماء اساتذة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء

ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين ولحمدين بساء ورجالاً
تتبعاً وتبانياً يلون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ،
يلتفون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .
هناك في سكاندينافيا وفينلاندا وانكلترا والمالاي وهولاندا وسويسرة
مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية
والهزلية والاجتماعية المنقطعة غصصت لمقاومة الغولية .

هناك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات
متازل فرسان الشاب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يمدون بالمالاين .
وجمعيات امل السرير (Espoir du Berceau) وهي تنصر الوفاء من الامهات
تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هناك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تنصر الى حسمها
عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة
البضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يندرن فيها على مكافحة المسكرات
يكن " في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هناك الجهاد اللاعولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية
ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيشته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة
ضد المسكرات ، حلاً عاماً فعله بواب الولايات المتحدة وتبوعها الذين اندوا
بمهمهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان
والحرارة والمعاداة ما لم يتجل في امة من ام التاريخ القديم والحديث .

وبينا مار الحرب تتأجج في اوروبا وامريكا لمقاومة الغول ومطاردته

نرى البلاد العربية المتقدمة هذه القادة الأصيلة الفتاة نجه بكليةها نحو هذا
العدو الأفعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر بواحدة ، أو كأنها سممت
الحياة فواحت تتطلب من سمه محوكم منها . وفي ذلك لعمري متعنى الجبن ،
واقصى الغباوة ، واشنع خيانة .